مظاهر السّياسة اللّغوية في الجزائر

الدكتورة: راضية بن عريبة

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف-الجزائر

الملخص:

خلق الله البشر فأيدهم بأعظم نعمة وهي التي تمثل صلة الوصل بينهم، لتحقيق التواصل وهذه الأخيرة هي اللغة التي تختلف من فرد لآخر، ونظرا لهذا فإن الشعوب تتوسل بها وتتعايش مع بعضها البعض وفق لغة متداولة توصل المفهوم، كما قال عز وجل:"وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ..."[1]، فقد تشكل لدى الشعوب قاطبة ظاهرة التأثر والتأثير ظاهرة التأثر و التأثير في كل الأمور، وحتى اللغات مستها هذه الظاهرة، ومن هنا تولدت ظاهرة التداخل اللغوي التي تعني اختلاط وامتزاج اللغات بعضها ببعض، ومن هنا لقيت هذه الظاهرة (التداخل الغوي) صدى كبيرا واهتماما من قبل علماء اللغة، بغية معرفة كل ما يحف بها.

وقضية التداخل اللغوي تطرح جملة من التساؤلات :

ما هو التداخل اللغوي؟ وما هي أهم العوامل المتسببة في وجود التداخل بين اللغات؟

كيف يمكن أن نوضح الصراع اللغوي القائم بالجزائر؟

الكلمات المفتاحية: السياسة اللغوية ;الجزائر ;التداخل اللغوي

1- تعريف التداخل اللغوي:

يعد التداخل اللغوي من الموضوعات التي تلقت بعدا لغويا واسعا لأبعد الحدود، ولذا كان التداخل ظاهرة معروفة منذ الأزل عند علماءنا، بحكم أن اللغات بمقدورها أن تحيا مع لغات أخرى وتتطور في ظلها كما بإمكانها أن تتداخل مع فصائل من اللغات المتنوعة، وهذا ما أثبتته جميع حقائق اللغات التي درست تاريخ هذه اللغات ، فقد وضحت أن كافة اللغات عاشت في صراعات حادة كلها تهدف من أجل غاية واحدة وهي البقاء، مما انجر عن ذلك إما بقاء أحدهما وزوار الأخرى أو العيش معا جانبا لجانب، في إطار وجود التداخل اللغوي و لذا كان التداخل اللغوي أمرا في غاية الأهمية .

من هذا المنطلق نرصد تعار يف المعاجم اللغوية لمصطلح التداخل، إذ جاء في لسان العرب :"تداخل الأمور تشابهها و التباسها ودخول بعضها البعض"[2].

لغة :

وقد وردت مادة دخل في المعجم الوسيط :" داخلت الأشياء :مداخلة وإدخالا، تدخل بعضها في بعض، تداخلت الأشياء ،دخلت الأمور و التبست وتشابهت"[3]، ويظهر أن المعاجم اللغوية على معنى موحد بخصوص التداخل ، واختصرته في وجود التشابه والتلاؤم بين الأمور والأشياء التي تجمع بينهم في نواحي متعددة.

اصطلاحا:

إن التداخل أمر عرفته الأمم العربية قديما لذا اعتبره العديد من العلماء آنذاك بأنه ظاهرة شاذة ولجت إلى اللغة العربية ،حتى أنهم فسروها على أنها هي اللحن بذاته الناتج عن الخطأ في النطق بسبب عامل التأثر و التأثير بين

اللغات،إذ يقول ابن جني الذي عقد فصلا كاملا بخصوص هذا الموضوع في كتابه الخصائص:" ألا تراهم كيف ذكروا في الشذوذ ما جاء على فعل يفعل، واعلم أن ذلك وعامته هو لغات تداخلت و تركبت"[4]،فإن ابن جني يرى أن التداخل حالة موجودة في اللغة العربية وهو ما أدى إلى تعدد اللهجات، كما نجد أن الجرجاني قد عرج على التداخل بقوله:"هو عبارة عن دخول الشيء في شيء آخر زيادة حجم ومقدار"[5].

يتضح أن التداخل يحدث شيئا فشيئا، كما أنه هو كسر لمعيار اللغة و الاستعانة بلغة أخرى حتى يتسنى أداء نطقه. كما ألم صالح بلعيد بقضية التداخل اللغوي و أبدى فيها رأيه إذ يقول:" التداخل يشير إلى الاحتكاك الذي يحدثه المستخدم للغتين أو أكثر في موقف من المواقف ، وقد تكون للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل فعالية أكثر في تولد توجه إيجابي أو سلبي ، اتجاه لغة ما أكثر من الأخرى، ومن هنا يظهر أثر اللغة الأجنبية في اللغة القومية"[6].

يتضح أن التداخل تولد عن الاحتكاك بين اللغات كما أن المحيط الاجتماعي للفرد و الجماعة هو اكبر عنصر فعال في حدوث التداخل، لأنه هو من يجعل لغة ما تؤثر في الأخرى.

2-أسباب التداخل اللغوي:

و بما أن التداخل اللغوي ظاهرة منتشرة في كل لغات العالم على اختلافها وزيادة على ذلك أنها ظاهرة عرفت منذ أزمان خلت ، ولهذا فإن الدارسين اللسانيين والباحثين أشاروا إلى أن ولوج التداخل في اللغات ناتج عن جملة من الأسباب وهذه الأسباب هي من فتحت المجال لامتزاج اللغات بعضها ببعض، واقتباس ألفاظ ومفردات من لغة وإقحامها في لغة الغير، ولعل هذه الدواعي كانت متنوعة فمنها ما كان بسبب التجاور وأخرى بسبب أمور أخرى، وفي ظل هذا نذكر أهم العوامل المؤدية إلى ظهور التداخل اللغوي وشيوعه على ألسنة البشر ما يلي:

"- نقص الكفاءة و التمكن من اللغة و قلة اكتسابها، يفسح المجال لدخول الخطأ وتعدد اللغات وتجاورها. إن وجود تلك اللغات شيء محمود في حد ذاته وهو تفتح ولكن إن لم يكن فيها تمكن و اكتساب حسن تسبب في تدخل لغة في لغة أخرى.

- اختلاف اللغات نفسها وهذا الاختلاف إن لم نتمكن منه ونتحكم فيه يؤدي إلى اختلاط اللغات.

-الترجمة فهي عامل الأخطاء ،لأن الترجمة هي استنساخ للغة على حساب لغة ما"[7].

"-استراتيجيات التعلم اللغوي التي يستخدمها المتعلم، فبعض المتعلمين يستخدم إستراتيجية الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الهدف ، كما بعضهم يعمم الظواهر اللغوية الموجودة في لغته الأم على اللغة الهدف، مما يتسبب في إحداث الكثير من أشكال التداخل اللغوي.

-التأثر بنمط اللغة الأم عند التعامل بلغة الهدف في أساليب التعبير"[8].

و إن كانت هذه الأسباب جلها راجع إلى نقص الكفاءة لدى المتعلم إذ يجد نفسه بين طرفين، طرف يمثل امتلاكه ومعرفته للغة الأم، وطرف ثاني يمثل لغة اللغة الهدف، من منطلق أن اللغة الهدف تختلف في كيانها عن اللغة الأم في كل النواحي والجوانب مما يحتم عليه تعلمها، فيجد نفسه قد اضطر إلى إدخال لغته في لغة ما ، ومن هنا تظهر عملية التأثير و التأثر بشكل واضح للغاية.

3-الصراع اللغوي في الجزائر:

وغير بعيد عن هذا كله إلا أن الجزائر تشهد صراعا لغويا حادا، فهي تعيش في ظل تعددية لغوية متنوعة،إذ يمكن أن نميز بخصوص الواقع اللغوي للجزائر قرابة أربع لغات وهي متفاوتة بين اللغات و اللهجات، إذ نلمس وجود اللغة العربية التي هي لغة معترف بها إضافة إلى العامية و أيضا لغة المستعمر الفرنسي الغاشم، و الأمازيغية إن كانت هذه اللغات و اللهجات منتشرة في كل أرجاء الجزائر،فإننا لا ننسى طابع لغة العصر التي فرضت نفسها بنفسها علينا باعتبارها لغة العولمة و التطور الحضاري، ألا وهي اللغة الإنجليزية،وكل هذا فتح فرصا لوجود صراعات لغوية في الجزائر،إلا أن المتأمل في الوضعية اللغوية للجزائر يجد أن اللغة الفرنسية قد استحوذت على مكانة خاصة إذ يتم تداولها في كل القطاعات والمؤسسات ،كما أن الصحافة الفرنسية بدأت تخطو خطوات نحو آفاق جديدة وجيدة، بل ونجد العامية تنتشر بشكل واسع في أوساط المجتمع الجزائري بدلا من اللغة العربية الفصحى، وهذا يمكن تجسيده في الوضع اللغوي للجزائر، الذي يشتمل على لغات وطنية وأخرى أجنبية وهي كما يلي:

1-"اللغة العربية: لغة دينية ووطنية ورسمية للبلاد، محيطها المؤسسات التعليمية و الإعلامية وهي لغة كتابية منبثقة عنها لهجات محلية شفهية"[9].

2-"اللغة الأمازيغية :لغة وطنية محيطها المؤسسات التعليمية و الإعلامية،لكن بشكل محدود وليس موسعا على كامل القطر الوطني، حيث لا يتجاوز تدريسها بعضا من جامعات الوطن والمدارس وهي لغة كتابية منبثقة عنها لهجات محلية شفهية.

3-اللغة الفرنسية:لغة أجنبية موروثة عن العهد الاستعماري،محيطها المؤسسات التعليمية، ولعض العائلات الفرانكفونية.

4- اللغة الإنجليزية: لغة أجنبية فرضتها علينا العولمة محيطها المؤسسات التعليمية"[10].

إن كل هذه اللغات لها وظيفتها الخاصة و المحددة في المجتمع الجزائري فبعضها كان مرفوضا عن طريق الاستعمال كاللغة الفرنسية، والبعض الآخر كان بفضل التطور العلمي و التكنولوجي الذي تشهده الساحة العالمية بسائرها، وليس فقط الجزائر، أما عن اللغات الوطنية فإنها رسمية، وهي رمز من رموز الهوية و الثقافة الجزائرية كاللغة العربية و اللغة الأمازيغية.

4-عوامل الصراع اللغوي:

خلقت سلسلة من العوامل التي أتاحت فرصة وجود صراع لغوي داخل الجزائر هذا بحسب الظروف المحيطة به، كمجتمع يتربع على العديد من اللغات و اللهجات، كل هذا فتح بوابة الاحتدام بين اللغات وحتى اللهجات، ولكن وبصورة جد واضحة نجد أن اللغات الأجنبية فرضت هيمنتها و سلطتها على المجتمع و بالضبط لغتنا العربية، فهي تسعى للقضاء عليها بشتى السبل و الطرق سواء كانت اللغة الفرنسية أو الأجنبية ، وواقعنا يعرف عزوفا ملحوظا في لغته العربية في حين نجده يسعى دائما إلى تعلم الأجنبية التي ليست بلغته الأصلية ، ومن هنا يمكن أن نلخص العوامل التي أدت إلى صراع بين العربية واللغات الأجنبية فيما يلي:

العوامل الخارجية:

"وتكون أحيانا شبه مفروضة على اللغة المتأثرة ،كعامل القوة و ما يتعلق به من قوة عسكرية واقتصادية وسياسية، ولكن هناك عامل ظهر في العصر الحديث وهو القوة العلمية التي تملكها بعض الدول الأجنبية الغربية و الشرقية فأصبحت مصدرا للغتها عن طريق التقدم العلمي، وهذا العامل له أثره في التأثير في اللغة العربية من عدة جوانب،إذ فرض أسماءه ومصطلحاته التي تسربت إلى اللغة العربية"[11] ، فهذا يعني أن التقدم العلمي و الركب الحضاري الذي وصلت إليه الدول الغربية في جميع المستويات وعلى كافة الأصعدة،بما فيها السياسة والاقتصاد هو من خول لها فرصة الاحتكاك والصراع مع العربية فأقحم في اللغة العربية مصطلحات ومفردات ليثبت مدى قوته، في التأثير على اللغة العربية.

العوامل الداخلية:

"التعليم باللغة الأجنبية فلاشك أن الحياة الحديثة المتطورة التي كان من جوانبها التطور العلمي و التقني، الذي وصل إليه الغرب في ميادين شتى أدت إلى إفادة الأمم قاطبة و العربية خاصة، من علومها مما يتطلب نقلها إلى المؤسسات التعليمية ،وأصبحت تلك العلوم جزءا من مقررات العلوم في المؤسسات التعليمية"[12].

"إن حاجة هذا العصر تستدعي وتتطلب تعليم بعض اللغات الأجنبية لتحقيق بعض الأغراض والأهداف التي لا يمكن تأتيها إلا من خلال الأجنبية، مما أحدث صراعا مع اللغة العربية، كتعليمها الذي كان على حساب مفردات اللغة العربية،مما أحدث عزوفا لدى الأفراد عن اللغة العربية واتخاذ مواقف سلبية اتجاهها"[13].

يظهر أن حتى للعوامل الداخلية شأن في إحداث الصراع اللغوي ،خاصة أن متطلبات العصر الحالي وما يحدثه فيه من تطورات أصبح يجبر الأفراد على تعلم الأجنبية التي يراها تحقق له أهدافا مادية سريعة في مقابل التخلي عن اللغة العربية.

5-السياسة اللغوية:

نظرا لما توصلت إليه اللغة العربية في مجتمعنا وخاصة في الآونة الأخير في ظل الصراع اللغوي الذي تعيشه مع اللغات الأجنبية ،والتي تحاول دائما إضعاف اللغة العربية،ومحاولة القضاء عليها واستبدالها بلغات أخرى ،فإن هناك مؤسسات و هيئات دولية تسعى دائما إلى التمسك بلغاتها وخاصة العربية، والجزائر إحدى هذه الدول التي تسعى بدورها إلى صيانة اللغة العربية من أي خطر يهدد كيانها ووجودها،وذلك من خلال اقتراح سياسة لغوية صارمة، تمنح للعربية طريقا و استراتيجيات تسير وفقها للارتقاء بها من جديد وذلك بتضافر الجهود وحتى أفراد المجتمعات.

والسياسة اللغوية هي:"مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة و الحياة الاجتماعية،وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن"[14]

وبهذا فالسياسة اللغوية ما هي إلا إستراتيجية وسبيل يهيء للغة مسارها داخل المجتمع،وحتى بين الأفراد ذاتهم ،وكأن السياسة هي من يوجه اللغة إلى الطريق والمنهج الذي تسير على منواله، وبهذه فالسياسة تحقق أهداف الهيئات التي تتبع هذا النوع من المنهج في حماية لغاتها.

ولقد اتبعت الجزائر والهيئات طريقا لحماية اللغة العربية وإعادة هيبتها في ظل منافسة اللغات الأجنبية ، ومن هذه الأرضية تأسست أكاديميات ومؤسسات تهدف إلى إتباع سياسة لغوية تصون العربية من أي تهديد يوجه اتجاهها،كالمجلس الأعلى للغة العربية، ومكتب التنسيق والتعريب وغيره،ويمكن أن نوضح طبيعة السياسة اللغوية المتبعة في الجزائر لتفعيل اللغة العربية كالآتي:

"1- استهداف التعليم بأطواره المختلفة باعتباره الأداة الأولى لنشر اللغة الرسمية وترقيتها وإعداد الإطارات العلمية و الثقافية المنتجة باللغة العربية.

2-ضرورة تفعيل دور المساجد لنشر العربية واتخاذها وسيلة للنهوض بالعربية"[15].

يبدو أن التعليم باللغة العربية في إطار السياسة اللغوية يعد أمرا مجديا للغاية فهو يحاول التعليم باللغة العربية في كل الأطوار التعليمية الثلاثة، كما أن استخدام المساجد و الكتاتيب له دور في النهوض بالعربية لكون أن القرآن الكريم رسالة سماوية مكتوبة بالعربية، و التعليم باللغة العربية أمر ضرورية في حفظ القرآن و ترتيله.

3-"دور وسائل الإعلام في تعميم العربية، حيث أدت الفصاحة دورا فعالا في نشر العربية و تعميمها، حيث استمر الحضور الإيجابي للغة العربية في وسائل الإعلام المتنوعة المكتوبة و المسموعة والمرئية، مسجلا تطورا ملحوظا،حيث بدت العربية ذات قدرة على التعبير عن أفكار العصر و أحداثه وقيمه، لغة على قدر الوضوح و الشفاهية"[16].

حتى الصحافة لها دور في ترقية اللغة العربية وتعميم استعمالها في كل وسائل الإعلام، مما أتاح فرصة للجمهور للتطلع على كافة الأحداث التي تجري في سائر العالم باللغة العربية.

6-التخطيط اللغوي:

نتيجة لتصاعد الصراع اللغويين داخل الجزائر بين اللغات خاصة العربية و الأجنبية، فإن هناك من العلماء من تولوا على عاتقهم مسؤولية الاهتمام باللغة العربية وإعطائها الحق الكافي من العناية في ظل ما تشهده يوميا من تصادم مع لغات أخرى ، التي تحاول إزاحة العربية بكل الوسائل والإطاحة بها، ولهذا اتبع هؤلاء سياسة ما يعرف بالتخطيط اللغوي الذي يحاول تنفيذ برامج برسم حدود العربية، بمعزل عن اللغات الأجنبية.

ويعرف التخطيط بأنه "مجموعة المجهودات المبذولة لتغيير لغة ما واستعمالها لتغير الخطاب عمدا، وهو إكمال لغة تعبر عن قراءة وطنية، وهو إصلاح لغة وقبوليتها بكيفية معيارية "[17]، فالتخطيط عبارة عن عملية تهدف إلى معالجة اللغة حتى تصبح مقبولة ومفهومة،كما أنها تحتاج إلى منهج صحيح يلائمها لتسير وفقه، كما أن التخطيط يحتاج إلى أجهزة وهيئات مهمتها تنفيذه والسهر على تطبيقه، حتى تحقق الأهداف المنشودة من أجله ولذا نلمس أن كل دول العالم تلجأ إلى استخدام مصطلح التخطيط في لغاتها ولعل هذا ما نلمسه في واقعنا حيث نجد أن الجزائر تعنى باستخدام هذا المنهج وتسعى بكل السبل من أجل تحقيقه، بغية ترقية اللغة العربية، وجعلها هي اللغة المعتمدة وطنيا وهذا ليس فقط في لجزائر وإنما في كل الدول العربية، ومن أساليب التخطيط ما يلي:

-توسيع و اجتهادات لإغناء العربية ومواكبة متطلبات العصر.

-وضع مصطلحات .

-وضع معجمات.

-الترجمة والتعريب.

-تيسير تعلم اللغة العربية.

-إحياء التراث"[18]

وكل هذا التخطيط هدفه الحفاظ على قيمة اللغة العربية وترقيتها لمواكبة متطلبات العصر من جهة، ومن جهة أخرى الحفاظ عليها كلغة رسمية ووطنية.

الهوامش :

[1]- سورة الحجرات: الآية.13

[2]- ابن منظور، لسان العرب،تح: عبد الله علي الكبير ، محمد احمد حسين الله، هاشم محمد الشاذلي، دط، دار المعارف،القاهرة ، مصر، دت، ص.1343

[3]- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4، مطابع دار المعارف، مصر، 2004، ص.275

[4] - ينظر، ابن جني، الخصائص، تح:علي النجار،دط،المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية،دت، ج1،ص.374

[5] - الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صادق المنشاوي، دط، دار الفضيلة ، القاهرة، مصر، دت،ص.49

[6] - صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، 2000، ص.124

[7]- محمد الصالح بن يامة، التداخل اللغوي بين الفصحى و العامية في التعبير الكتابي لدى متعلمي السنة الثانية من التعليم المتوسط – اللهجة السوفية أنموذجا-، رسالة جامعية(ماستر) ، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2015، ص.19

[8]- هداية هداية إبراهيم الشيخ علي، تصور مقترح قائم على أشكال التداخل اللغوي لبناء برامج تعليم اللغة العربية للطلاب الأوروبيين، بحث مقدم في المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية.

[9] - ياسين بوراس، التعدد اللغوي التنمية الاجتماعية آفاق التنمية في الجزائر، أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي 3-4-5 ديسمبر 2012،ص.332

[10]- ينظر، المرجع نفسه، ص .332

[11]-ينظر: إبراهيم بن علي الديبان، الصراع اللغوي، بحث مقدم في مؤتمر علم اللغة الثالث(التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي)،16-17جانفي،1427هـ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،ص.5

[12]- ينظر: المرجع نفسه، ص.08

[13] -ينظر: المرجع السابق،.07

[14] - بلال دربال، السياسة اللغوية المفهوم و الآلية، العدد العاشر،مجلة المخبر،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ،جامعة بسكرة،الجزائر،2014،ص325

[15] - ينظر: خيرة قصري، في الجزائر السياسة اللغوية في الجزائر وتعميم العربية، مقال محمل من الإنترنت www.alarabia conférence. org

[16] - ينظر:المرجع السابق، ص.7

[17]- جوليت غارماري، اللسانة الاجتماعية، عربه: خليل أحمد خليل،ط1،دار الطليعة بيروت، لبنان،1990،ص.205

[18] -مصطفى عوض بني ذياب، التخطيطوالتعريب، ع42، www.mehamed rabéea رجب حزيران 2012،ص120.